Journal Of the Iraqia University (73-7) May (2025)

ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

دوافع الذات الداخلية في شعر السري الرفاء

م.م . نوره غزاي علاوي العزاوي
بإشراف: أ.د. سامي شهاب أحمد الجبوري
جامعة كركوك /كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم اللغة العربية دكتوراه / أدب
esad22007@uokirkuk.edu.iq
Research extracted from the doctoral thesis of the student Ms. Noura Ghazi Alawi Al-Azzawi
Supervised by: Prof. Dr. Sami Shihab Ahmed Al-Jabouri
University of Kirkuk / College of Education for Humanities
Department of Arabic Language - PhD / Literature

المستخلص:

إن الدوافع الداخلية للذات تشمل مجموعة من العوامل التي تؤثر في ابداع الشاعر وتوجهاته الفنية ، ومنها التجربة الشخصية إذ يستوحي السري الرفاء دوافعه من حياته ،كالحب والمعاناة ،إذ يضفي عمقاً للنص وايضاً تلعب الهويك الثقافية والاجتماعية دوراً هاماً في صياغة النصوص إذ تتمركز عليها الفكرة وتعبر عن القضايا الداخلية ، وللطبيعة كذلك دور إذ تستخدم كرمز للتعبير عن المشاعر، وشمل البحث اربعة دوافع وهي :١-الحب والغزل٢-الاغتراب والحنين٣-الحزن والعتاب٤- التشاؤم والامل وكل دافع اخذ نصيبه من التحليل الشعري المناسب له . الكلمات المفتاحية : السري الرفاء – الخطاب –الدوافع

Extract:

The internal motives of the self include a range of factors affecting the creativity of the poet and their technical directions, including the personal experience, as the secret of the virus is inspired by his life, as love and suffering, as he gives a depth of the text Cultural and social role is an important role in drafting the texts as the idea is based and expressing internal issues, and the nature is also a role as a symbol of expressing emotions, and includes four motives: 1 - Love and spinning 2 - Antitude and nostalgia 3 - Sadness and Origin 4 - Pessimism, Hope and every motivation to take its share of the right poetry analysis.

Keywords: Secret Refriating – Speech

دوافع الذات الداخلية تتجاذب النفس البشرية مجموعة من المشاعر والأحاسيس التي تؤثر فيها فالحب، والبغض، الفرح والحزن والتشاؤم والتفاؤل والغضب، والخوف والترقب كلها مشاعر تلاقي الفرد خلال يومه، بحسب المواقف التي يمر بها، ويظهر تأثيرها فيه؛ إذ يرى عدد من الباحثين أن "العاطفة قد تظلل بعض الألفاظ بظلال خاصة حين يستعملها الفرد، وأن هذه الظلال تختلف باختلاف الناس، وتجاربهم في الحياة" (أنيس:٨)، فلإنسان منذ وجد على ظهر الأرض " يعاني أزمة الحياة وما فيها من خير وشر، وورد وشك، وأمل ويأس، ونور وظلمة، وسرور وفرح، فليست حياة الإنسان مشرقة دائمًا، ولا مظلمة دائمًا، بل تلتقي فيها الصفحتان، تارة تكون نقية صافية، وتارة تكون كدرة قاتمة، ومرد ذلك في جملته على ضعف الإنسان وقصوره تجاه الكون، أما الكون فإنه يشعره دائمًا بأن قدرته محدودة، وأنه وإن حقق مطالبه أو بعضها في الحياة؛ فالموت له بالمرصاد، ولا بد من أن يختطفه في ساعة من ليل أو نهار، طالت حياته أو قصرت" (ضيف: ١٠٥)وكذا الشاعر فإنه إذا تنوعت الحالة النفسية له، تنوعت معطياته الشعرية ودلالاتها، فيتفاعل الشاعر مع النفس ومع المجتمع من حوله.

١- الدافع الأول: الحب والغزل: الحب هو شعور نفسي وإحساس قلبي، وانبعاث وجداني، ينجذب فيه قلب المحب تجاه محبوبه بحماسة وعطف (علوان، ١٩٨٢: ٨) ، ويوجه السري خطابه للمرأة لأنها " الكلمة الجامعة للأم والحبيبة والعشيقة والمحبوبة"(ضمرة، ٢٠١١: ١٥) ،وفي العموم فإن صورة المرأة الحبيبة في أغلب الصور " تعادل الحب العذري إذ تحضر المرأة في الصورة فتاة عفيفة يتمنى الشاعر وصالها(محمد، ٢٠٠٨: ٤٣) ، ويحكي عن جمالها ودلالها كما في أبيات الشاعر التي تفيض حباً ينبع من داخله، وأما الغزل فهو " قريب من النفوس، متعلق بالقلوب، قد جعل الله في تركيب عباده محبة وألفة للنساء فلا يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلقاً به، ضارباً فيه بسهم"(ابن قتيبة: ٢٨/١)، وهو من " أبرز الموضوعات التي لقيت عناية كبيرة مما يتعلق بالنفس البشرية " (ابن منظور: مادة غزل) في هذا الدافع كتب السري قصيدة تعكس تجربة شخصية للشاعر السري الرفاء، حيث يُعبر فيها عن مشاعره العاطفية المرتبطة بالحب والغزل. مما يضيف إيقاعًا شعريًا جذابًا يعكس عذوبة المشاعر فيه، يقول فيها : (السري الرفاء:٤٢/٢)

وَهَوَاكَ لَوْ كَانَ الْمُلَامُ صَلَاحًا مازاد قَلْبِيَّ لَوْعَةٍ وَجَرَّاحًا
أَحْبِبْ إِلِي بِلَيْلَةٍ أَفْنِيَتِهَا حَتَّى الصَّبَاحِ تَفَكُّهًا وَمَزَّاحًا
مَا كَانَ لَوْ مَدَّتْ عَلَى جَنَاحِهَا لِلْوَصْلَ مَا غِنَى الْحَمَامِ وَنَاحَا

بدافع التعبير عن مشاعره الشخصية وهي (الحب والغزل) فيتجلى الخطاب في هذه الأبيات باستحقاق المحب لكل شيء، فالمهم أن يظل الحب قائماً، ومهما عانى القلب من محبه اللوعة والجراحات، فإن القلب يمتلأ بالحب الذي يجاورها، ثم ينادي المخاطب بتجربة عاطفية مميزة، فهذه الليلة التي يتمناها كانت مملوءة بالعواطف والتجارب المؤثرة في قلب الشاعر ووجدانه، ففيها صار حتى الصباح وهو في قمة الاستمتاع والتفكه ولا حدود لسعادته وقتها، فحتى الطيور التي تميزت بالنواح لم تستطع أن تعبر عمق شوق الشاعر لتلك الليلة ولذلك الرفيق بها، فالحبيب هو الذي يتمنى أن يمد له يد الوصال حتى تعاد الكرة، ويبقى الحب ليلة بعد ليلة جاءت الأبيات حول حالة وجدانية تسودها مشاعر اللوعة والحنين للحبيب، مع التركيز على لذة اللحظات التي يعيشها المحب، حتى لو كانت محفوفة بالتعب والمعاناة. كما يتجلى في القصيدة رفضه للمظاهر الصارمة والتوجهات الأخلاقية التقليدية، مع تفضيله للفرح والاستمتاع بالحياة. هذه المناسبة تبرز رؤية الشاعر للحب كقوة سامية تتجاوز الملامة والقيود الاجتماعية. القصيدة كُتبت بأسلوب عمودي، على بحر الكامل، وتنتهي بقافية الحاء (ح)يظهر دافع الحب والغزل كعاطفة إنسانية عميقة تهيمن على الشاعر، حيث تتجلى معاناته بين الحُبّ والشوق من جهة، واللوعة والجراح من جهة أخرى. إذ يعبر الشاعر عن استحالة الإصلاح بينه وبين المحبوبة عبر اللوم، إذ إن قلبه يزداد لوعةً وجراحًا بدلًا من أن يهدأ، مما يعكس استسلامه الكامل لسطوة الحب، هذا يؤيد ما ذهب إليه إحسان عباس في أن الغزل في الشعر العربي يتميز بتصوير العاطفة كحالة وجدانية مطلقة لا تستجيب للمنطق(عباس: ١٨٤)، كما أن الشاعر ينتقل إلى تصوير لحظة حب مميزة يرغب فيها أن تستهلكه حتى الفناء، مما يعبر عن افتتانه بلحظات الوصال رغم قصرها، وهو ما يتناغم مع ما ورد عن بشرى موسى في أن الغزل يقوم على استدعاء الصور المفعمة بالحياة والتفاعل الحسي(البستاني: ١١٥)،أيضا لجأ الشاعر إلى التشبيه باستخدام جناح الحمامة التي تمد وصلها للحبيب، مبرزًا قيمة اللقاء الروحي والمادي في الحب. هذا الاستخدام للصورة الرمزية يدعم ما ذكره في مصطفى ناصف(ناصف: ٧٢) أن رمزية الحمام في الشعر العربي تتصل غالبًا بالأمل والحنين.إذ تتسم هذه الأبيات بالعمق العاطفي والإبداع البلاغي، حيث يبدأ الشاعر بتأكيد أن لوم المحب لا يُفضي إلا إلى زيادة ألمه وشوقه، مشددًا على أن الحب الصادق يتجاوز أي ملامة، ويظل نقيًا بالرغم من الجراح. في البيت الثاني، يُظهر الشاعر قيمة اللحظة العابرة في لقاء الحبيب، حيث يعبر عن رغبته في استنفاد الليل في المزاح والاستمتاع، مما يعكس أهمية اللحظات المشتركة في حياة العاشق. أما في البيت الثالث، فيرسم الشاعر صورة بديعة للطبيعة، مشبهًا لحظات الوصل بجناح الطائر الذي يحمل الحبيب، في حين يربط بين غناء الحمام وحنينه.هذه الأبيات تمثل صورة واضحة عن رؤية السري الرفاء للحب، حيث يؤكد أن المعاناة جزء لا يتجزأ من التجربة العاطفية. وبهذا المعنى، نجد اتفاقًا مع رأي الناقد طه حسين الذي يرى أن "الشعر الغنائي هو أصدق أشكال التعبير عن العاطفة، إذ يعبر الشاعر عن مشاعره الذاتية دون قيد، متجاوزًا حدود الزمان والمكان" طه حسين، في الأدب العربي، ص. ١٢٧). يتجلى ذلك في تصوير السري لمشاعره الداخلية بتفاصيل حسية وبلاغية تجعل المتلقي يشعر بتجربته العاطفية، وكأنها تجربته الشخصية.وهكذا فإن الأبيات خاطبت المحب، وشرحت له معاناة الطرف الآخر وتأثير الحب عليه وعلى وجدانه، وكان هذا هو الدافع وراء هذا الخطاب .

يقول في مقدمة غزلية (السري الرفاء: ١٦٨/٢):

لِحَظَّ عَيْنِيْكَ لِلرَّدَى أَنْصَارُ وَسُيوفَ شِفَارِهَا الْأَشْفَارَ
فَتَكَّتْ بِالْمُحِبِّ مِنْ غَيْرِ ثَأْرِ فَلَهَا فِي فُؤَادِهِ آثَارٌ

وَقْفَةً بِاللِّوَى اِسْتَبَاحَتْ نفوسا قَمَرَتَهَا عَزَاءَهَا الْأَقْمَارَ

كتبت هذه الأبيات في سياق غزلي، حيث يصف الشاعر مشاعره المتقدة نحو محبوبته وتأثيرها البالغ عليه. الأبيات تعكس تجربة ذاتية تعبر عن حالة وجدانية يغلب عليها الإعجاب والسحر بجمال المحبوبة. الشاعر يصور نظرات عينيها كسهام قاتلة تخترق قلبه دون مقاومة، مما يجسد قوة الحب وسيطرته عليه. جاءت هذه الأبيات لتعكس تجربة شخصية تتناغم مع سياق اجتماعي وأدبي كان يعلي من شأن الحب والغزل كموضوع شعري أساسي، خصوصًا في العصر العباسي الذي شهد ازدهارًا في التعبير عن العاطفة والجمال بصور شعرية مبتكر يُبرز الشاعر في هذه الأبيات دافع الحب والغزل بوصفه قوة مهيمنة لا يمكن مقاومتها، إذ يُصور نظرات المحبوبة كسيوف تخترق قلب المحب دون أن تترك له مجالًا للثأر، كما في قوله: "لِحَظَّ عَيْنِيَّكَ لِلرَّدَى أَنْصَارُ وَسُيوفَ شِفَارِهَا الْأَشْفَارَ". يظهر هنا تصوير مجازي بارع يعكس الألم الذي يخلفه الحب في النفس العاشقة، ثم ينتقل الشاعر إلى إبراز الأثر العميق لهذا الحب في القلب، حيث يصف كيف أن تلك السيوف قد تركت آثارًا في قلبه دون أي مقاومة، كما في البيت الثاني، مما يعكس مدى استسلامه لسطوة الحب. هذا يتفق مع ما أشار إليه إحسان عباس بأن الغزل العربي يُظهر الحب كحالة وجدانية مطلقة تتسم بالتناقض بين اللذة والمعاناة(عباس: ١٨٤)، في البيت الأخير يُجسد السري صورة تأملية حول وقوف المحبوبة في مكان يُعرف بـ"اللِّوَى"، وكيف استطاعت بجمالها أن تسلب النفوس وتجعل القمر، رمز الجمال، باهتًا بالمقارنة بجمالها. هذا الوصف الرمزي يعكس مدى تأثير الحب في رفع مكانة المحبوبة إلى مرتبة تفوق الطبيعة، وهو ما أشار إليه مصطفى ناصف في أن الغزل العربي يعتمد على الرمزية لإظهار قدسية الحب وجمال المحبوبة(ناصف: ٧٥)عبر الشاعر هنا بدافع إحساسه تجاه معشوقته، ففي الأبيات الغزلية " إثبات للوجود الإنساني العاطفي للشاعر، وفيها يصور عواطفه ويظهر مشاعره" (المصري، ٢٠٢١: ٢/ ٩٠)، وقد بدأ خطابه للحبيبة بلحظ العين، والعين لها ما لها من أثر في الشعر العربي ولها الأثر البالغ في النفس على المحب العاشق، وهي تنقل السهم إلى قلب المحب مباشرة، حتى يصل بنا من خلال السيوف التي تقطع القلوب بأشفار العيون، وكأن نظرتها وحدها كفيلة بذلك، ينقلنا لعالم تفتك به دون ثأر أو سبب. فهذا الحب الذي هو الدافع النفسي الرئيسي لخطابه، ولم يجعل الخطاب مباشراً بل أحال الضمير في العين (ك) إلى الحبيبة، فهو يخاطب العين على سبيل المجاز علاقته الجزئية، فالعين جزءٍ وهي الكل، وفي ذلك مبالغة رقيقة منه تجاه المرأة التي يحبها، كما أن البيت الثاني يأخذنا بمبالغة أخرى لطريق الألم الذي تخلفه العيون فهو أقسى من الجراح بالسيوف الحقيقية.قال في الغزل: (السري الرفاء: ٢/ ٩٣)

قَصَدَ الدَّهْرُ فِيكَ مِنْ بَعْدَ جَوْرٍ وَأَرَى الدَّهْرَ فِيكَ جَوْرًا وَقَصْدًا

فَأُسْبُقْنِي كَالْ عَرُوسِ أَلَبِسَهَا الْمَاء وَشَاحًا مِنَ الْحَبَابِ وَعَقْدًا

قَدْ ظَمَّئْنَا فَكَانَ رَيِّقُكَ وَرَدًا وَثَمِلْنَا فَكَانَ خَدُّكَ وَرَدًا

جَمَعَ اللَّيَالِي شَمِلَنَا فَوَدَدْنَا أَنَّ بَيْنَ الصَّبَاحِ وَاللَّيْلِ سَدًّا

تُعد هذه الأبيات جزءًا من قصيدة غزلية عبر الشاعر فيها عن مشاعره العميقة تجاه محبوبته. الشاعر هنا يعبّر عن أن الزمن قد تآمر عليه، متمثلًا في "الدهر" الذي كان جائرًا، إلا أنه في المحبوبة وجد الراحة والطمأنينة. كما يستخدم الشاعر في الأبيات صورة غنية مليئة بالرمزية، حيث يشبه محبوبته بالعروس التي تُزيَّن بالزينة الفاخرة، ويصف لذَّة وصالها بعبارات تغمره في حالة من السُكر العاطفي. الشاعر يتمنى أن يظل هذا اللقاء في حالة مستمرة من الصباح إلى الليل دون فراق، ما يعكس عمق ارتباطه وتعلقه. هذه الأبيات هي انعكاس للحب الكامل الذي يجعل الزمن والأماكن يتناغمان في لحظة شعرية مليئة بالتأمل والعاطفة.يعبر السري الرفاء في هذه الأبيات عن دافع الحب والغزل، حيث يبدأ بمخاطبة الدهر مشيرًا إلى تقلباته في التعامل مع علاقته بمحبوبته، كما في قوله: "قَصَدَ الدَّهْرُ فِيكَ مِنْ بَعْدَ جَوْرٍ وَأَرَى الدَّهْرَ فِيكَ جَوْرًا وَقَصْدًا". هذا التناقض في العلاقة بين الجور والعدل يرمز إلى الصراع النفسي الذي يعيشه العاشق تحت تأثير الحب. يتفق هذا مع تحليل إحسان عباس الذي يرى أن الغزل في الشعر العربي كثيرًا ما يُبرز الحب كحالة عاطفية متقلبة تجمع بين الألم والسرور(عباس: ١٨٤)، كما يقدم الشاعر صورة جمالية لمحبوبته بوصفها كالعرس الذي يتزين بزينة الماء، حيث يصبح الحباب والعقد عناصر جمالية تضفي على الصورة إحساسًا بالبهجة والجمال الحسي. هذه الصور الحسية تُظهر كما أشار بشرى موسى أن الغزل يعتمد على استحضار التفاصيل الحسية لإبراز جمال المحبوبة(البستاني: ١١٥)، ثم ينتقل الشاعر إلى التعبير عن لذة الحب، حيث يصف ريق المحبوبة بأنه يُروي عطش المحب، وخدها بأنه ورد يُسكر العاشق، كما في قوله: "قَدْ ظَمَّئْنَا فَكَانَ رَيِّقُكَ وَرَدًا وَثَمِلْنَا فَكَانَ خَدُّكَ وَرَدًا". هذا التشبيه يبرز مدى تأثير الحب على الروح والجسد، وهو ما يدعم ما ذكره مصطفى ناصف بأن الغزل يعتمد على التعبير عن الحب كحالة حسية وروحية متكاملة.(ناصف :٧٢)إذ يتمنى الشاعر أن يستمر الليل الذي يجمعه بمحبوبته وأن يظل حائلًا بينهما وبين الصباح، مما يُظهر تعلقه بلحظات الوصال والحب، وهي فكرة تتكرر في الغزل العربي التقليدي لتعبر عن رغبة المحب في دوام

اللحظات الجميلة بعيدًا عن قسوة الواقع.يخاطب الشاعر هنا بدافع الشوق والحنين للمحب بعد أن تفرقا لفترة، والغزل في مفاتنه، وتذكر كل لحظاتهم الخاصة المملوءة بالحب، فإن جمال الحبيب يضاهي جمال الزهور والورود، والعطش قد يروى بريق الحبيب، والخد كان هو الورد الذي يشفيه من سكره بالخمور، فهذه التعابير تحقق السعادة بداخل الشاعر حيث يمثل الحبيب لديه مصدر الانتعاش والنشاط، وهو يتمنى أن يأتي بسد ويحظر الصباح، كي يستمر سوياً في لحظاتهم الماتعة.. وهذا الغزل العذري الرقيق كان بدافع الحب النابع من داخل الشاعر والذي يضفي على الأبيات روحاً جميلة تُشعر المتلقي بالمشاركة في المشاعر الفياضة.ويقول : (السري الرفاء: ٢/ ٤٢)

قَامَتْ تُثْنِي بَيْنَ أَتْرَابِهَا وفائح الْعَنْبَرَ مِنْهَا يَفُوحُ
رَاهِبَةَ لله فِي نِسْوَةٍ قَدْ أَلْبِسَتْ قَصْبُ اللُّجَيْنِ الْمُسُوحُ
كَأَنَّهَا إِذْ سَفَرَتْ رَوْضَةٌ أَلْبِسَهَا الرَّوْضُ صَبِيحًا مَلِيحٌ
لِوَلَّاكِ لَمْ أَمَشَّ إِلَى بَيْعَةٍ وَلَوْ مُشِّي حَوْلًا إِلَى الْمَسِيحِ

كتب السري الرفاء هذه الأبيات في سياق تجربة حب شخصية عايشها، حيث يعبر عن حالته العاطفية تجاه محبوبته التي يتغنى بجمالها وتأثيرها في حياته. هذه القصيدة تنتمي إلى سياق المدائح الغزلية التي اعتاد الشاعر استخدامها لتمجيد محبوبته والتعبير عن مشاعر الفرح واللذة المرتبطة بلحظات اللقاء. يركز الشاعر هنا على تصوير العلاقة العاطفية بينه وبين محبوبته في مواجهة تقلبات الدهر وظروف الحياة، مما يبرز ارتباطه العميق بمحبوبته رغم تحديات الزمن والجفاء.تظهر في الأبيات مشاعر الحب العميق التي يحملها الشاعر تجاه محبوبته، حيث يبرز تأثيرها الساحر في حياته. يبدأ الشاعر بالإشارة إلى تقلبات الدهر التي تجسدها معاناته مع الجور والإنصاف، لكنه يجد في محبوبته تعويضًا عن تلك المآسي، إذ يصفها كمصدر فرح وسعادة يضفي على حياته جمالًا. يعبر الشاعر عن افتتانه بمظهرها البهي، حيث يشبه خديها المتوردين بالورد، مما يعكس التصاق المعاني الجمالية بالمحبوبة. كما يشير إلى رحيقها الذي يشبّه بالماء الذي يروي ظمأه، في صورة شعرية تمزج بين الحسية والرومانسية. هذا التوظيف للصورة الشعرية يعزز ما ورد عن بشرى موسى في أن الغزل يتسم باستدعاء الصور الحسية المشبعة بالحيوية (البستاني: ١١٥) ، كذلك يظهر في الأبيات تمني الشاعر لدوام لحظات اللقاء، وهو شعور متكرر في الشعر العربي يعكس مدى ارتباط العاشق بلحظات الوصال، كما أشار إحسان عباس إلى أن الغزل العربي ينبني على تصوير لحظات العشق كحالات وجدانية خالدة تتحدى الزمن. (عباس: ١٨٤)يصف الشاعر في هذه القصيدة مشاعره وتأثير الحبيبة على حياته، فهي لا تغدو إلا ورائحة العنبر تفوح منها، فتفرغ على حياته حباً ووداً، وكأنها في تسامحها راهبة متفانية في عبادتها، وملابسها من الفضة الخالصة زيادة في التغزل بجمالها، وهي إن أسفرت عن وجهها حديقة مزهرة، لها جمال يتفتح ويبرز منفجراً كزهور الربيع الجميلة، ثم يخاطبها بلهفة المحب بأنه لولاها ما مشي لبيعة مهما طالت الخطى، فهي الدافع الرئيس لفعله للأشياء. ويتجلى الدافع للخطاب في عدة عوامل تعود كلها إلى الحب والغزل، فنجد الإعجاب والتقدير، والإفصاح عن المشاعر دون تردد، وإبراز عمق المشاعر تجاه تلك المحبوبة الروحية.ويقول في قصيدة أخرى(السري الرفاء: ٤٩/٢):

زِدْنِي مِنَ الْعَذْلِ فِيهَا أَيُّهَا اللَّاحِيَّ إِنَّ الْفُؤَادَ إِلَيْهَا جِدْ مُرْتَاحَ
بَيْضَاءَ تَنَظُّرٍ مِنْ طَرَفِ تَقَلُّبِهِ مُفَرَّقَ بَيْنِ أجحسام وَأَرْوَاحٌ
مَاءَ النَّعِيمِ عَلَى ديبَاجِ وَجَنَّتِهَا يُجَوِّلُ بَيْنَ جَنَى وَرَدٍّ وَتُفَّاحِ
رُقْتُ فَلَوْ مَزْجَ الْمَاءِ الْقَرَاحِ بِهَا وَالرَّاحَ لِامْتَزَجَتْ بِالْمَاءِ وَالرَّاحِ

تُعبّر الأبيات عن مشهد غزلي عميق يقدّم صورة شاعرية لعلاقة بين الشاعر والمحبوبة. الشاعر هنا يرد على اللوم الموجه إليه من معاتبيه، مشيرًا إلى أن قلبه لا يظل مستجيبًا لهذا العتاب لأنه غارق في حب المحبوبة، رغم أي لوم أو توجيه. يصف المحبوبة بأنها بيضاء، زاهية، كأنها تجسد الجمال المثالي الذي لا يمكن مقاومته. تتنقل الأبيات بين صور حسيّة وعاطفية، حيث يذكر الشاعر كيف يصف جمال محبوبته في تنقلاتها المختلفة بين الأجسام والأرواح، ويصورها في جمالها الطبيعي مثل ماء الجنة والنعم التي يتمتع بها. بالإضافة إلى ذلك، يتطرق الشاعر إلى غرامه المُفَصَّل ويشبه مزجها بالماء والراح، ليعبر عن انسجامها الفريد في كيانه، مما يخلق صورة من الاستمتاع العاطفي الذي لا يضاهى.تُظهر هذه الأبيات دافعًا قويًا من الشاعر للمضي قدمًا في غزلٍ يُظهر الاندماج التام بين العاطفة والجمال الجسدي. الشاعر يستجيب للعتاب من خلال إعلان التزامه الكامل بالحب، مما يثبت أن القلب وجد في المحبوبة راحته الكاملة رغم الانتقادات. استخدامه للصور البصرية مثل "بيضاء" و"ماء النعيم" يعكس سعيه لإبراز جمال المحبوبة وجاذبيتها التي تمثل في ذهنه الكمال المطلق. كما يظهر في الأبيات مزجًا للصور الحسية، مثل "ماء النعيم" و"الراح"، ليبين كيف أن هذا الجمال ليس فقط في المظهر، بل أيضًا في عمق التجربة العاطفية التي يخوضها الشاعر. هذا التناغم بين الجمال

الداخلي والخارجي يتفق مع ما ذكره إحسان عباس في "فن الشعر" من أن الغزل العربي يقوم على تصوير العواطف كحالات وجدانية تهيمن على الشاعر وتدمج الجمال الجسدي بالعاطفي(عباس: ١٨٤) ، كما يؤيد هذا ما ذكرته بشرى موسى في "الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث" حول كيف يخلق الغزل صورًا حسيّة تغمر المتلقي وتحفز الخيال. (البستاني: ١١٥) الدافع الخطابي للأبيات هو الحب العميق والمشاعر الصادقة التي تكمن في نفس الشاعر، والوله الشديد الذي يقوده إلى الغزل، فهو هنا يركز على الجانب المثالي للمحبوبة، فهو يعدد سماتها فيقول بأن بشرتها بيضاء، ولها نظرات ساحرة، ووجهها الصافي، حتى أنها تتفتح كالجنة متناثرة بين الورود والفاكهة، واستعمال لفظة (ماء النعيم) كاستعارة للدلالة على السحر والجمال الذي تتمتع به بشرة حبيبته، ثم يؤكد على رقتها بأنها لو امتزجت بالماء والخمر لم يمكن التمييز بينهما، وهذا له دلالة على شفافية جسدها وروحها، وهكذا فنجد أن نقل الشاعر أحاسيسه ومشاعره الداخلية التي تفيض بالغزل هذا ما قاده للخطاب الشعري الذاتي الذي يعبر فيه عن الوله والحب العميق، فيقول في مقدمة غزلية: (السري الرفاء: ٤٥/٢)

قَمَرَ كُلَّمَا مُنْحَنَاهِ لِحَظًا مَنَحَ اللَّحْظُ جلناراً وَوَرْدًا

هُوَ كَالْرِّيمِ مَا تَلَفَّتِ جَيِّدًا وَهُوَ كَالْغُصْنِ مَا تَأْوَدُ قَدًّا

أَنَا، إِنَّ رَاحَ أَوْ غَدَا لِفِرَاقُ فِي رَوَاحٍ مِنَ الْحَمَامِ وَمُغَدِّيّ

أَيَّهَا الْبَرْقَ، إِنْ وَجَدَتْ غَمَامًا فَاسْقِ نَجْدًا وَمَنْ حَلَّ نَجْدًا

الأبيات تأتي في سياق غزلي يعبر عن الشوق والهيام، حيث يصف الشاعر محبوبته بأوصاف طبيعية وجمالية تعكس الجمال المثالي الذي يشعر به تجاهها. يتطرق الشاعر إلى العاطفة الجياشة التي تملأ قلبه، مشيرًا إلى الأثر الذي تتركه المحبوبة في قلبه، وكيف أن لحظات اللقاء والتواصل معها تكون مليئة بالجمال والتجدد. كما يشير الشاعر إلى معاناته عند الفراق، الذي يعتبره فصلًا في زمن متقطع بين الرواح والقدوم. هذه الأبيات يمكن أن تكون جزءًا من قصيدة تعبر عن الحنين والشوق الذي يلازم المحب في غياب الحبيب، وتظهر الرغبة المستمرة في اللقاء حتى في ظروف الفراق.تتجلى العاطفة الغزلية في صور جمالية تُظهر ارتباط الشاعر التام بالمحبوبة. الشاعر يُصور محبوبته بطريقة تُبرز جمالها الطبيعي الذي لا يتغير، مُستعملًا التشبيه: "كَالرِّيمِ مَا تَلَفَّتِ جَيِّدًا" و"كَالغُصْنِ مَا تَأْوَدُ قَدًّا". يُظهر ذلك كيف أن المحبوبة تجسد في نظره صورة الجمال الأبدي والموصول إلى الطبيعة، مما يعكس حالة من الاستمتاع بمشاهدها العاطفية والجسدية التي تثير في الشاعر حالة من الهدوء والجمال العميق، الصور الحسية في الأبيات، مثل "مَنَحَ اللَّحْظُ جلنارًا وَوَرْدًا"، تستحضر لحظات التلاقي والجمال التي تمرّ بسرعة وتؤثر في القلب، ما يضيف قيمة عاطفية وعميقة للتجربة التي يمر بها الشاعر. كما يظهر في النص أيضًا تحولات مختلفة بين اللحظات العاطفية والشعور بالفراق، حيث يتحول الحب إلى ندم عند الحديث عن الفراق ووجوده كعنصر يعيق اللقاء المستمر، هذا التصوير الغزلي يتناغم مع ما أشار إليه مصطفى ناصف في "الصورة الأدبية" حول كيف يستخدم الشعر العربي الرموز الطبيعية لتوظيف الأبعاد الجمالية في الخطاب العاطفي(ناصف : ٧٢) كما يتفق مع ما ذكره إحسان عباس في "فن الشعر" بأن الغزل العربي لا يقتصر فقط على التعبير عن الحب، بل يشمل أيضًا التجربة الحسية في سياق الجمال الطبيعي الذي يُظهر محبته الأبدية.(عباس : ١٨٤)يعبر الشاعر عن جمال الحبيب ورقته، وانبهاره بالحبيب هو الدافع الرئيسي في استخدامه تشبيهات راقية مثل "القمر" و"الريم" و"الغصن"، وذلك ليتجلى دافع الانبهار به واقفاً خلف تلك التشبيهات، كما أنه يمكن ملاحظة الرغبة القوية في القرب من الحبيب، في تعبير: (أنا، إن راح أو غدا لفراق) فهو لا يتحمل فكرة البعد أو الفراق، هو لمجرد التفكير في احتمال الغياب لا يتحمله، في البيت الآخر نجد دافع نفسي آخر وهو التعلق العميق بالمكان الخاص بالحبيب، فهنا الشاعر يخاطب البرق منادياً إياه طالباً منه أن يسقي المكان المنتمي إليه الحبيب لما له من أهمية كبيرة في نفس الشاعر، فهنا تتجلى خيوط النور والأمل الذي ينبت في نفس الشاعر، فهو يطلب إضاءة البرق ولكن ليست إضاءة عادية بل ترتبط بحسن وجمال التدفق العاطفي في نفسه، وهكذا نلاحظ أن الدافع النفسي للخطاب في هذه الأبيات هو مزيج بين الحب والغزل والتعلق بالمكان.

٢- الدافع الثاني: الاغتراب والحنين: أول ما يحضر في دوافع الخطاب الذاتية في الحنين إلى المكان هو الوطن: الموصل، فهي مسقط رأسه، وكانت كما حكى عنها التاريخ أرضاً ذات حدائق غناء، وظلال، وأراضي خصبة، وهكذا كان يؤكد على ذلك السري في أشعاره التي تغترف من دافع ذاتي وهو حنينه إلى موطنه، فـ "المكان الذي يلتقي فيه الزمن والشخصية، فهو اتحاد مع الزمن والشخصية يكتسب قيمة فنية مميزة" (الجبوري،١٩٨٦: ٣٥٠) كما أن الاغتراب له عامل كبير في الحنين للأوطان، أو للأماكن التي يحبها الفرد، فإن الاغتراب النفسي له" استخدامات نفسية تتفاوت قوة وضعفا، فقد يعني مجرد السرحان أو الشرود الذهني الذي ينشأ نتيجة اهتمام الإنسان بأمور معينة اهتماما يبعده عن ذاته، وقد يعني الحس أو غياب الوعي " (أحمد، ٢٠٠٨م:٤٢)، فالمكان يشكل جزء أساسي من حياة كل إنسان، هو مرتبط بالمولد والذكريات، وكل ما مر في الحياة من محطات

متعددة، ولذا فنجد العلاقة وثيقة بين الإنسان والمكان خاصة إذا كان له فيه ذكريات، ومواقف مهمة في حياة الشاعر، فإن نفسه دائماً تدفعه للحنين ليعود إلى المكان الذي كان مسرحاً لتلك الأحداث، وهذا الدافع الخطابي منذ القدم في حياة الشعراء " فعند وقوف الشاعر الجاهلي الطلل فهو يستحضر الذكريات التي تثير في نفسه مكامن الأسى والشجن والحنين" (دحماني(٢٠٠٨ :١٧ ،ويقول عن أوطانه: (الديوان:٢/٤٥٥)

غِرَاءَ ضَاحِكَةِ إِلَيْكَ ثُغُورِهَا ضَحِكَ الْحَبِيبُ إِلَى الْمُحِبِّ الْوَامِقِ

سَقَيَا لِتِلْكَ مُنَازِلًا مَعْمُورَةً مِنْ كُلُّ مَطْرُوقُ الْفَنَاءِ وَطَارِقٍ

حَمَّرَ الْقَوَاعِدُ وَالْقِبَابُ كَأَنَّمَا أَشْرَبَنَّ رَقْرَاقَ الْخَلُوقِ الرَّائِقِ

يَلْقَاكَ مِنْ نُوَّارِهَا وَغُيُومِهَا مَا بَيْنَ دُكْنِ مطارف وَنَمَارِقَ

وَالْهَيْكَلَ الْمُبَيِّضَ يُلَمِّعُ وَسَطُهَا كَالْ ْأُقْحُوَانَةِ فِي بِسَاطِ شَقَائِق

كَمْ دَمِيَّةُ خَرْسَاءُ فِيهِ وَدَمِيَّةَ فَضَّلَتْ عَلَيْهَا بِاللِّسَانِ النَّاطِقِ

الأبيات تأتي في سياق يعبر عن الاغتراب والحنين إلى الوطن، حيث يتحدث الشاعر عن المكان الذي يعبر عن ذكرياته وأحاسيسه الشخصية. الوطن هنا ليس مجرد موقع جغرافي، بل هو مكان يحمل في طياته الذكريات الجميلة التي تثير مشاعر الشوق والحنين. الشاعر يصف جمال الوطن، مستخدمًا صورًا بيئية طبيعية تعكس سحر المكان وروعته، ويحاول استحضار تلك الذكريات التي تثير في نفسه مشاعر الأسى والتوق للعودة إلى هذا المكان الذي كان مهدًا لذكرياته. كما يظهر في الأبيات كيف أن الشاعر يستحضر تاريخ المكان وأصالته، بل ويستمتع بتصور تلك اللحظات الجميلة التي مر بها في ظل الوطن، مما يعكس الشعور العميق بالانتماء والرغبة في العو الصور الحسية التي يجسدها الشاعر تتسق مع ما أشار إليه مصطفى ناصف في الصورة الأدبية حول استخدام الشعر العربي للرموز الطبيعية في التعبير عن الأحاسيس العميقة والمشاعر الخاصة (ناصف: ٧٢)، كما يتوافق هذا مع ما ذكره إحسان عباس في فن الشعر عن كيف أن الشعر العربي قد يدمج بين الجمال الخارجي للمكان والجمال الداخلي للروح في حديثه عن الوطن والمكان المحبب(عباس:١٨٤)، تُظهر هذه الأبيات أيضًا الدافع النفسي المتمثل في الاغتراب، حيث يتضح من خلال النص أن الشاعر يعاني من غياب المكان الذي ارتبطت به ذكرياته. فهو ليس مجرد حنين إلى الأرض نفسها، بل حنين إلى الذكريات العاطفية والمواقف التي مر بها في هذا المكان.الدافع الذاتي هنا للأبيات هو التغني بجمال الموصل وعمارتها، وافتتانه بهذا المكان يبدو أنه هو والجمال الطبيعي ما ألقيا به إلى قول هذه الأشعار الغنية بالحب والحنين لوطنه العزيز، يشبه الشاعر بلدته بكونها غراء مشرقة، وأسند إليها صفة الضحك وهي صفة إنسانية، فجعل ابتسامتها تضاهي ضحك الحبيب إلى محبوبه، وهذا فيه إيحاء أن المكان يفيض جملاً وبهجة، حيث إنه يبتسم ترحيباً بكل زائر، ومثل هذا التشبيه والإسناد يعكس علاقة الشاعر بالمكان، فبالنسبة له المدينة كائن حي يتفاعل مع من حوله، كما يدعو الشاعر بالخير والبركة لتلك العامرة التي لم تخلو من الزوار، وهذا يشير إلأى الحيوية والنشاط والانطلاق الذي تفعم به هذه المدينة وهذا المكان.يخلق الشاعر أيضاً في أبياته الإشكال بين الطبيعة والعمارة في المكان، وهذا يزيد جاذبية المتلقي لذلك المكان الذي يصفه، ويبرز الألوان ويعزز جمال الطبيعة المكانية فهذه المدينة تنعم بالمظهر الخارجي وكذا العمق الروحي، افتتان الشاعر بموطنه يعمق دور الأبيات في الوصف المكاني ويجعل الخطاب كمن يخاطب إنساناً فيضفي بعداً فلسفياً إلى خطابه، فهي تعبر عن الحب الصادق لكن هذا لم يمنعه من إضافة بعض الزخارف اللفظية إلى الأبيات والتي خدمت المعنى جيداً، فـ " الشعر هو عاطفة وتفكير معاً، وأنه مهما اختلفت أبوابه فإن كلاً منها له نصيبه من التفكير، وحكمة الشاعر هي تجاربه وخواطره في الحياة، تلك الخواطر التي ينتجها الشعور والتفكير" . (السيد، ٢٠١٤: ٩١)

ويقول أيضاً عن أيام صباه الخالية) : الديوان: ٢/ ١٧٤)

شَبَابُ الْمَرْءِ ثَوْبٍ مُسْتَعَارٍ وَأَيَّامَ الصَّبَا أَبَدًا قُصَارٍ

طَوَى الدَّهْرُ الْجَدِيدُ مِنَ التَّصَابَى وَلَيْسَ لَمَّا طَوَى الدَّهْرِ اِنْتِشَارٌ

وَلَمْ نُعْطِ الْمُنَى فِي الْقُرْبِ مِنْهُ فَكَيْفَ بِهَا وَقَدْ شَطَّ الْمَزَالُ

صُدُودٌ فِي التَّقَارُبِ وَاجْتِنَابٍ وَشَوْقٌ فِي التَّبَاعَدِ وادكار

يُطَوِّلُ إِذَا تَقَاصَرَتِ اللَّيَالِي وَيَقْرُبُ إِنْ تَبَاعَدَتِ الدِّيَارُ

لَحَى اللهُ الْعِرَاقِ وَسَاكِنِيهُ فَمَا لِلْحُرُّ بَيْنَهُمْ قَرَارٌ

وَجَادَّ الْمَوْصِلِ الْغَرَّاءِ غَيْثَ يَجُودُ وَلِلْبُروقِ بِهِ انسفار

كَمَا اِنْهَلَّتْ مَدَامِعُ مُسْتَهَامُ تُلْهِبُ مِنْهُ فِي الْأَحْشَاءِ نَارٌ

فَفِي أَيَّامِهَا حُسْنَ التَّصَابَى وَفِي أفيائها خَلْعَ الْعِذَارِ

تأتي هذه الأبيات في سياق يعبر عن الشوق والحنين إلى الماضي وأيام الشباب، حيث يستخدم الشاعر التصوير الجمالي لتوضيح كيف يمر الزمن ويأخذ معه لحظات الشباب والحياة. يبرز الشاعر أيضًا العلاقة بين التباعد والاقتراب في الحب والعلاقة، موضحًا كيف أن الزمن الذي يمضي لا يعود، وأنه كما هو الحال في الطبيعة، فإن الأمور تأخذ مسارًا لا يمكن تغييره. يعرج الشاعر على حنينه للمكان (الموصل)، مظهرًا مشاعر الأسى والذكريات التي لا تُنسى. في هذه الأبيات، يُعبّر عن التأمل في فقدان الفرص، وضياع اللحظات الثمينة بسبب تغيرات الزمن والظروف.الأبيات تعكس رؤية الشاعر لمرور الزمن وتغيره، مع التركيز على مرحلة الشباب وما يرافقها من أحاسيس وحركة. في قوله "شَبَابُ الْمَرْءِ ثَوْبٍ مُسْتَعَارِ وَأَيَّامَ الصَّبَا أَبَدًا قُصَارِ"، يظهر الشاعر كيف أن الشباب ليس سوى مرحلة مؤقتة، كأنه ثوب مستعار، ما يبرز انقضاء هذه المرحلة السريعة. هذه الفكرة تتكرر عبر البيت "طَوَى الدَّهْرُ الْجَدِيدُ مِنَ التَّصَابَى وَلَيْسَ لَمَّا طَوَى الدَّهْرِ اِنْتِشَارٌ"، حيث يشير الشاعر إلى أن الزمن لا يعود بعد أن يمضي.يتناغم هذا التصوير مع ما قاله مصطفى ناصف في الصورة الأدبية حول تأثير المكان على الإنسان وكيف يمكن أن يكون هذا التأثير جزءًا من الهوية النفسية للإنسان (ناصف:٧٢) كما يوافق ما ذكره إحسان عباس في فن الشعر حول كيفية استخدام الشعراء للزمان والمكان في تكوين مشاعر حنين وانتماء قويّة، مما يتيح للشاعر أن يعبر عن رؤيته للزمن والمكان كجزء من التجربة الإنسانية العميقة. (عباس: ١٨٤)الذي يدفع الشاعر لهذا الخطاب الشعري هو حنينه للماضي، وشعوره بالأسى لانقضاء الشباب، وكذا الغربة التي يعيش بها والابتعاد عن الموطن الذي يهواه، وتلك حالة نفسية مضطربة يعيش فيها الشاعر، أجاد الشاعر في تعبيره عن الشباب بالثوب المستعار، فهذا التمثيل أدى معنى عدم الدوام، وكون الأيام للصبا قصيرة سريعة الانقضاء، وفي ذلك دلالة على شدة الحنين والاشتياق، فإن الدهر أخذ التصابي ولم يعطه الفرصة لاسترجاع ماتم سلبه، فإنه لا رجوع لما قد أخذه الزمن، ويتساءل الشاعر ويستفهم على بسيل الحسرة والحزن، فكيف عند دوام الشباب لم يحقق أمانيه، والآن أصبح بعيداً فكيف يحققها؟ وهذا يدل على خيبة الأمل في الحياة والعجز الرهيب أمام قوة الزمن، ثم مايلبث أن يصل إلى وطنه المحبوب الذي أخذه الاشتياق إليه لكتابة كل تلك الكلمات، وهي الموصل، فهي أهل الكرم والعطاء، فحتى مطرها يسقط بسخاء ويضيء ببروق سماءها، ويختم حديثه بأنها كانت مليئة بأيام الشباب والفرحة والحرية.

كما يصف غرفة له بالموصل قائلاً: (الديوان: ١٧٨/٢)

لَنَا غُرْفَةٌ حَسَّنَتْ مَنْظَرَا وَطَابَتْ لِسَاكِنُهَا مُخْبِرًا

تَرَى الْعَيْنَ مِنْ تَحْتَهَا رَوْضَةً وَمِنْ فَوْقَهَا عَارَضًا مُمْطِرًا

وَيَنْسَابُ قُدَّامُهَا جَدْوَلَ كَمَا ذُعْرَ الْأَيِّمِ أَوْ نَفَرًا

وَرَاجٍ كَأَنَّ نَسِيمَ الصَّبَا يَحْمِلُ مِنْ نَشْرِهَا عَنْبَرًا

وَعُنَّدِيٌّ عَلِقَ قَلِيلُ الْخِلَافِ وَنَدْمَانَ صِدْقٍ قَلِيلِ الْمِرَّا

وَدَهْمَاءَ تهدير هَدْرَ الفنيق إذاً مَا اِمْتَطَتْ لَهَبًا مُسَعِّرًا

تُجَيِّشُ بأوصال وَحْشِيَّةَ رَعَتْ زَهْرَاتُ الرَّبَا أَشْهُرًا

كَأَنَّ عَلَى النَّارِ زَنْجِيَّةَ تَفَرَّجَ بَرْدَا لَهَا أَصِفْرًا

تأتي هذه الأبيات في سياق وصف مشهد طبيعي يعكس الجمال والهدوء، حيث يُظهر الشاعر تأملاته في المناظر الطبيعية التي تحيط به. يتحدث الشاعر عن الغرفة التي تحيطها روضة خضراء، مما يخلق صورة متكاملة من الجمال والسكينة. كما يظهر الشاعر تباينًا بين مختلف عناصر الطبيعة: الأرض والماء والهواء، مما يعزز الشعور بالسلام والانسجام مع البيئة المحيطة.تبدأ الأبيات بوصف الغرفة الجميلة التي "حسَّنت منظرًا" و"طابت لسكانها" ويظهر من هذا الوصف مدى الراحة التي توفرها هذه الغرفة لأهلها، كأنها مكان من النعيم. ويستكمل الشاعر بإعطاء صورة للأرض من خلال قوله "تَرَى العينَ مِنْ تَحْتِهَا رَوْضَةً"، حيث تبرز الأرض الخضراء التي تُضفي على المشهد جمالًا وهدوءًا. ثم يُضيف "ومن فوقها عارضًا مُمطرًا"، ويُظهر هذا التصوير الجمالي العلاقة بين الأرض والمطر، حيث يعزز المطر من خصوبة الأرض ونمو الزهور والنباتات.ثم ينتقل الشاعر إلى وصف "عُنَّدِيٌّ عَلِقَ قَلِيلُ الْخِلَافِ"، حيث يتحدث عن صديقه أو رفيقه الذي لا يعكر صفوه شيء، يواكب هذا السكون والسكينة التي يشعر بها الشاعر في هذه البيئة الهادئة. كما يذكر "وَنَدْمَانَ صِدْقٍ قَلِيلِ الْمِرَّا"، مما يعكس أهمية الوفاء والإخلاص في العلاقات الإنسانية.تُظهر هذه الأبيات قدرة الشاعر على خلق صور شعرية غنية بالمعاني، باستخدام تقنيات التصوير الجمالي والتشبيه. تعكس الأبيات تباينًا بين السكون والحركة، الهدوء والاضطراب، الطبيعة والمجتمع. كما يعكس الشاعر من خلال هذه الأبيات تفاؤله بالبيئة المحيطة به من خلال وصفه لها كبيئة

مثالية للراحة والسكون، المقارنة بين النسيم والأنفاس العطرة والعوامل الطبيعية الأخرى تؤكد فكرة الشاعر حول ارتباط الإنسان بالطبيعة وتأثيرها على حالته النفسية. كما تعكس هذه الأبيات، في نهايتها، التحديات التي قد تواجه الإنسان، ممثلة في "دَهْمَاءَ تهدير هَدْرَ الفَنِيقِ"، تتفق هذه الأبيات مع بعض الأفكار النقدية التي طرحها مصطفى ناصف في الصورة الأدبية حيث تساهم الصور الجمالية في تعزيز عمق التجربة العاطفية للشاعر(ناصف: ٧٢) ، كما تتناسب مع ما ذكره إحسان عباس في فن الشعر حول كيفية استخدام الصور الفنية لخلق توازن بين عناصر الطبيعة ومواضيع الشاعر. (عباس: ١٨٤)يأخذه الحنين إلى وطنه، للحنين إلى غرفته أيضاً، التي كان يشعر فيها بالرضا والسرور لامتلاكه تلك الغرفة التي تطل على تأثيرات رائعة، فالمناظر الطبيعية التي تحيط بها مثل الروضة الخضراء والغيوم المملوءة بالمطر، وجداول المياة المنسابة أمامها، كل هذه الطبيعة تجعل الرائي والساكن يجد فيها الهدوء والراحة النفسية هذه الغرفة لا يميزها فقط تلك المظاهر الطبيعية، فالشاعر يمزج بين التفكير العقلي والإحساس القلبي، فيذكر أيضاً من مميزاتها وجود الرفقة الجيدة والأشياء الثمينة التي يمتلكها، ففيها فرسه السوداء التي تصدر الصوت القوي، وهي سريعة، وهي في سوادها كامرأة زنجية تحرك النيران، فتجعلها تتوهج وهكذا تتطاير الشرارات الصفراء، وهذا يعكس للمتلقي قوة وسرعة الفرس التي يحبها، وكعادة العرب يأتي ذلك على الشاعر بالفخر والاعتزاز وهكذا يتحرك به الدافع للحنين إلأى كل ما كان يملكه ويستمتع به ويراه في بلاده غرفته، بيته، فرسه، مناظر طبيعية حول بيته، أصدقاء قدماء، شوارع المدينة، هذا هو الدافع الذاتي لأي شخص بعيد عن وطنه متغرب عنها دائماً ما يفكر في كل ما تم تركه فيها ويحن إليه ويتشوق والمتأمل في اللغة الشعرية التي شكلت هذه الأبيات يجد أنها ملائمة تماماً لما في نفس الشاعر من حنين إلى الماضي، واشتياق لذكرياته، وهكذا فإن العلاقة بين الشاعر ولغته قوية، وكذا بينها وبين تراكيبه ومفرداته التي يصور بها تجربته، ولعل سر هذا يكمن في أن الشاعر " أكثر انقياداً واستسلاماً إلى اللاوعي اللغوي، بسبب ما يملك من إحساس مرهف مشحون، وروح محتشد زاخم، حتى يكاد الشعر يصبح سلسلة من الرحلات في أعماق الباطنة للغة، يقوم الشاعر بإحداها في كل قصيدة يبدعها" (الملائكة: ١٠) فالألفاظ المستعملة في أبياته تعبر عما يكمن في نزاوع نفسه، وكيف يعيش هذا الجو النفسي المشحون بالذكرى والحنين.الدافع الثالث: الحزن والعتاب نفس الإنسان تتأثر بالأحداث من حولها وتتفاعل مع الوقائع التي تدور من حوله، والشعراء هم أرهف الناس حساً، وشعوراً، ومن الطبيعي أنه عندما يتأثر تالشاعر بموقف صادم من أحد الأصدقاء أو من يحبهم أن يلجأ إلى العتاب بعد أن يخيم عليه الحزن أولاً، وللواقع الأثر العظيم في التجارب الشعرية الذاتية والاجتماعية سواء والعتب : الرجل الذي يعاتب صاحبه أو صديقه في كل شيء، إشفاقا عليه ونصيحة له. (ابن منظور(ت:٧١١هـ): ١/ ٥٧٧) الإنسان كتلة من الأحاسيس والمشاعر، لابد له من إطلاق العنان لها، ولن يكتمل ذلك إلا بالعتاب، فـ "الناس كائنات انفعالية، بل أكثر انفعالية مما يخيل إلينا في غالب الأحيان، فالفرح والحزن، الإثارة والخيبة، الحب والكراهية، الانجذاب والصدود، الأمل واليأس، مشاعر غالباً ما نعانيها، هي ومشاعر كثيرة في حياتنا اليومية "(حمصي، ١٩٩٢: ١/١٧١)وإنّ صح التعبير، فالعتاب معرفة وتفكير، إنه تنفيس عن مكنونات القلب، فمن دعائم استمرارية الحياة لدى المرء راحة النفس، واطمئنان الروح لما يجري حولها، فلذا العتاب هو ظاهرة إنسانية ومنفذ للتعبري عما يختلج في النفوس من مشاعر ويقول المدني في كتاب أنوار الربيع في أنواع البديع " العتاب حدائق المتحابين، وثمار الأوداء والدليل على الضن بالأخوة، ..... وظاهر العتاب خير من باطن كله، وكما قال أبو الدرداء : معاتبة الأخ أهون من فقده، ومن ذلك بأخيك كله، وكما قال الشاعر : ترك العتاب إذا استحق أخ* منك العتاب ذريعة الهجرة " (ابن معصوم: ٣/٧) والعتاب من الدوافع الذاتية النفسية التي يلجأ إليها الشخص عندما يضيق صدراً من صديق له، أو أخ، أو حبيب، فلا يجد بداً غير معاتبته لعل الريح تسير كما يرام بعد ذلك، وهو دليل على تمسك الشخص بتلك العلاقة، وحرصه الذاتي على بقائها. ومن مواضع العتاب لديه مع أبي الفوارس سلامة بن فهد، يقول له) الديوان: ٢/ ٤٩٠):

أَيَّ قَوَافٍ يَعْنِ مُؤنقهَا فَيَسْتَرِقُ الْقُلُوبُ رَيَّقَهَا
مَصُونَةً وَالْخُطُوبَ تَبْذُلُهَا جَدِيدَةً وَالزَّمَانَ يَخْلُقُهَا
عَرَائِسَ أَهْمَلَتْ وَلَا سِيمَا أَحْسَنَهَا صَنْعَةٌ وَأَرْشَقُهَا
وَكَانَ جَوَادُ الْكِرَامِ يُنْبِتُهَا فَصَارَ مَنْعُ اللِّئَامِ يُحْرِقُهَا
سِيرُوا إِلَى الْمَجْدِ قَبْلَ سَائِرِهِ أَطْلَقَ مِنْهَا الشَّبَّا وَأَطْلَقَهَا
إِنْ أَكْسُكُمْ مِنْ مَدَائِحِيّ جِنَنًا فَإِنَّ لِي أُسُّهُمَا تُمَزِّقُهَا
شوارداً فِي الْبِلَادِ مَا اِفْتَرَقَتْ إِلَّا رَأَيْتُ اللَّبِيبَ يُفَرِّقُهَا
أَمَّا اِبْنَ فَهْدٍ فَقَدْ وَرَدَتْ لَهُ مَوَارِدُ لَمْ يَكُنْ يُرَنِّقُهَا
صَنَائِعَ تَنْشِيءِ الْمَحَامِدِ كَالْأَنْوَارِ رَاحَ اِلْحِيَا يُفَتِّقُهَا

فَسَائِلَاهُ الْغَدَاةَ كَيْفَ سَلَّا عَنِ الْقَوَافِي وَكَانَ يعشقها

تأتي هذه الأبيات في سياق يعبر عن الفخر والحماسة، ويُظهر الشاعر هنا مشاعر اعتزاز بالإنجازات والمجد الذي تحقق، مع تسليط الضوء على الأوقات التي مضت والتي ساهمت في صياغة هذا المجد. يتناول الشاعر الجوانب الحياتية والمهنية، ويستعرض تجارب الماضي والتحديات التي واجهها، محاولًا تسليط الضوء على أهمية هذه الخبرات في تشكيل حاضره. كما يعكس الشاعر في هذه الأبيات التحولات التي مرَّ بها وهو يشير إلى تأثير الزمن على المكانة والإنجازات في الأبيات الأولى، يظهر الشاعر حنينه إلى فترة مضت، حيث يتحدث عن القوافي التي كانت تُسحر القلوب "فَيَسْتَرِقُ الْقُلُوبُ رَيَّقَهَا". هذه الصور تستخدم لإيصال فكرة عن الجمال الذي كان يحيط بالزمان والمكان في تلك الفترة، وتستحضر مشاعر متعلقة بالوطن والأيام الجميلة التي مضت. يبدو أن الشاعر يتحدث عن نوع من الفقد، حيث أن الزمان قد تغيَّر ولم يعد هناك من يشبع هذه الرغبات السابقة.هذه الأبيات يمكن ربطها بما ذكره مصطفى ناصف في الصورة الأدبية حول كيف يستخدم الشعراء التصوير المجازي لتوصيل معاني عميقة تتعلق بالزمان والمكان والمشاعر الداخلية، (ناصف: ٧٢) أيضًا يتفق هذا مع ما ذكره إحسان عباس في فن الشعر عن دور الشعر في تصوير التناقضات الداخلية للإنسان وإظهار تأثير الزمن على الإنسان والمجتمع من خلال استخدام اللغة والرمزية. (عباس: **184**)وهنا يتجلى عتاب الشاعر الذي يأتي بعد ألم نفسي ووجداني تمكن بداخل نفسه، ومن ثم انتقل إلى شعره، فيخاطب الأمير ويكره بماكن قبل سابق محل إعجابه، ويتساءل ماذا جد معه؟!!! ليقسو بهذه الطريقة ويسلاه. فهو يخاطب ابن فهد العظيم النبيل، وينابديه بانتصاره على كل المواقف الصعبة التي مر بها، وصنائعه التي تنشئ المحامد هي كثيرة ومضيئة كالأنوار تنير الحياة، فهو شخص يفتح أبواب الحياة ويجلب النور للآخرين من خلال أعماله وأفعاله المشرفة، وانتصاراته التي لا تحصى. وعلى الرغم من المدح في هذا الشخص، فإن هذا المدح يعبر عن مكانة الأمير في قلب الشاعر، فلو لم يكن له من المكانة العظيمة ماله، لم يعاتبه، ولم يلق له بالاً، فإن الإنسان يعاتب من لا يريد هجرانه.. وقد استطاع الشاعر الجمع بين الحكمة والعتاب، فاستخدم اللغة الجزلة في التعبير عن حبه للأمير ومدحه له، لأنه حين يقدم على معاتبته لا يظن الأمير أنه يهجوه، فيغضب منه، بل البدء بالمدح هو ما يلطف القلب ويجعله يترقق استعداداً لقبول العتاب من الشاعر، وفي البيت الأخير يقدم له العتاب الرقيق، فيسأله بتعجب كيف استطاع أن ينسى قوافيه التي لطالما أحبها وعشقها، فكانت كلمته وشعره معرض حب ومدح من الأمير، فكيف استطاع البعد عنها، فهو يعاتبه على ذلك برقة ولطف، علهم يعودان إلى سابق عهدهما. وفي أبيات أخرى يعاتب أبا جعفر، والذي يبدو أنه من المقربين لديه قائلاً (الديوان: ٢/ ٣٨٣):

أَبَا جَعْفَرٍ لَمْ تَنْسَى الصَّنِيعَا وَقَدْ كَنَّتْ تَحَسُّنٌ فِي الصَّنِيعَا
أَرَاكَ تَنَاسَيْتُ عَهْدَي الْقَدِيمَ فَضَاعَ وَمَا حَقِّهِ أَنْ يَضِيعَا
فَلَا لانازح الْوَدَّ يُدْنِي الدُّنُوَّ وَلَا غَائِبُ الشَّرِّ يَنْوِي الرُّجُوعَ
فَلَوْلَا الْحَيَاةَ أَرَاكَ الْعِتَابِ بَدِيعًا مِنَ النَّظْمِ يَتْلُو بَدِيعًا
مَلُومٌ وَيَخْضَعُ بَعْضُ الْمُلَامِ فَلَيْذِعْ لَوْمَا وَيَأْسُو خُضُوعًا

الدافع لقول الأبيات هو العتاب الرقيق لذلك الشخص، إذ يتساءل عن سبب نسيان أبي جعفر للأيام الخالية والأعمال الطيبة، فكيف به نسيان الصداقة القديمة الطيبة، التي كانت تجمعهم، فأصابته الخيبة والألم النفسي من ذلك الشخص، فقد تمكن منه العجز لاسترجاع تلك العلاقة، فكان ذلك دافعاً لقوله تلك الأبيات اللطيفة، فهو في صراع نفسي داخلي بين مشاعر الأسى وبين تقبل الواقع . كما يؤيد البيت الأخير التوتر الذي يسكن الشاعر تجاه علاقة الصداقة المفقودة، فبكامل المارة والأسف ينعي ذلك، فقد كانت تستحق الاستمرار، وقد استطاع أن يعبر عن لواعج قلبه وخوالج نفسه ووجدانه، في لغة شعرية بسيطة ومعبرة، وأن يوضح التجربة الشعرية المؤثرة للمتلقي، حتى يتفاعل معه بقلبه ويؤيده في عتابه.

قال يعاتب صديقاً له وقد أسر له حديثاً فأذاعه) الديوان:٢/٧٦٠):

أروم مِنْكَ ثماراً لَسْتُ أَجْنِيها وأرتجي الحال قد حُلَّتْ أواخيها
استودع اللَّهَ خِلًّا مِنْكَ أُوسِعُهُ وداً ويُوسِعُنِي غشا وتمويها
كان سري فِي أَحْشَائِهِ لَهَبٌ فَمَا تُطِيقُ لَهُ طباً حواشيها
قَدْ كَانَ صَدْرُكَ للأسرارِ جَنْدَلَةٌ صَنِينَةٌ بِالَّذِي تُخْفِي نواحيها
فَصَارَ مِنْ بَثَّ ما استُودِعْتَ جَوْهَرَةً رَقِيقَةً تَسْتَشِفُ العَينُ ما فيها

الشاعر هنا تضطرب ذاته بسبب موقف من صديق، من المفترض أنه أمنه على سره، إلا أنه أفشاه، وذكره، وهنا صدم الشاعر، فهو يودع الجمال الذي صار بعيداً عنه، وويعتب على ذلك الشخص الآخر الذي اعتقده صندوق أسراره، فالإحساس الأعلى هنا هو الشعور بالخيانة، فقد فقد الثقة في أعز الناس. ويعبر الشاعر عن إحساس الخيانة والعتاب من خلال الإشارة إلى الحنين والفقد، بطريقة غير مباشرة، والتلميح بأن هذا الشخص خذله، ويبرز الألم الذي يشعر به تجاه الصديق، وتجاه هذا التغيير في المشاعر.الدافع الرابع : التشاؤم والأمل

يقول وهو يصف حاله وضيق رزقه (الديوان: ٢/ ٢٨٩).

يُنْبِيكَ عَنْ صِحَّةِ أَخْبَارِي عُسْرِيٌّ مِنَ الْعِشْقِ وإيساري
وَسُوقَةَ أَفْضَلِهِمْ مُرْتَدَّ نَقْصًا فَفَخْرِيَّ بَيْنَهُمْ عَارِيّ
وكانت الْإِبْرَةَ فِيمَا مَضَى صَائِنَةَ وَجِهِيٌّ وَأَشْعَارِيٌّ
فَأَصْبَحَ الرِّزْقُ بِهَا ضَيِّقًا كَأَنَّهُ مِنْ ثَقْبِهَا جَارِيٌّ

تعكس الأبيات الرفض لتلك الظروف القاسية التي يمر بها الشاعر سواء على المستوى العاطفي أو المادي، وهو يستعمل أسلوب جذاب وكأن شخصاً يسأله عن حاله وهو يجاوبه، فهو يعبر عن تشاؤمه وعسر حاله، كما أنه يرفض تدهور مكانته بين الناس، وتعرضه لأزمات مادية زاد في عبء الحياة عليه، وقد عبر بالإبرة هنا إشارة منه إلى حرفته التي كانت تجلب له الرزق، فصار بها ضيقا في رزقه، وأصبحت مصدر للضيق وعسر الحال، فكأن الرزق يمر من ثقب الإبرة وهذا التشبيه يعكس المعاناة التي يتعرض لها في طلب الرزق وكسب قوت يومه كما يقول في أبيات أخرى تعكس تفاؤله(الديوان: ٢/ ٣٢٣):

مَحَّلَكَ مِنْ وَصْلِ الْأَحِبَّةِ آنَسَ وَغَصَنَكَ مِنْ مَاءِ الشَّيْبَةِ مَائِس
تَمَتُّعٌ مِنَ اللَّذَّاتِ قَبْلَ نَفَادِهَا وَبَادِرٌ فَإِنَّا لِلْخُطُوبَ فَرَائِسَ
أَلَا حَبَّذَا الْمَرَجُ الْعَلِيلُ نَسِيمَهُ. إِذَا نَبَّهَتْنِي لِلصَّبُوحِ النواقس
وَمَالَتْ غُصُونُ طَوْقَتِهَا مَنَاطِقَ. وَلَاحَتْ شَمُوسُ تَوَّجَتْهَا حنادس
وَدَارَتْ عَلَى النَّدْمَانِ مِنْ خَمْرِ بَابِلِ. عَرُوسَ تُزِّدَتْ بِالصَّبَا وَهِيَ عَانِسٌ
أَلَمْ تُرَنِّي فِي اللَّهْوِ أَجَرَرْتُ مِقْوَدِيَ. فَأَضْحَكَتْ أَيَّامِيٌّ وَهُنَّ عَوَابِسُ
وَلَمْ أَعَبٌّ بِالْوَعْدِ الَّذِي وَعْدِ الْوَرَى. فَمِنْ كَانَ يَرْجُوهُ فَإِنِّي آيس

الشاعر هنا متفاءل ويملأ وجدانه الأمل ويدعو إلى الاستمتاع بالحياة وفي نفس الوقت يوجد جزء في حروف الأبيات به حزن على مضي العمر، فهنا يستعمل الضدية لإبراز متع الحياة وملذاتها، فهنا الشاعر يدرك حتمية الزمن إلا أنه يريد التمتع بكل لحظات تمر في حياته وينصح الجميع بذلك، فهو يدعو لاجتماع الأحبة فإن في وصلهم البهجة والحب، كما يشبه حالته في الوصل بحال الغصن المترنح من ثقل السيب، وهذا إدراك فعلي لتغيير الزمن عليه مع إصراره على البهجة التي يشعر بها حال التفاؤل والوصال. ويدعو إلى النيل من ملذات الحياة كما يؤكد على كون البشر هم فريسة للمشاكل، فلابد لاغتنام الفرص الحلوة والتي بها الراحة النفسية والأمل والتفاؤل للتمسك بها، ويصف في مشهد طبيعي ميل الغصون المحاطة بالزهور وشروق الشمس مع وجود بعض الغيوم، وهذه الصورة التعبيرية التي تمثل التباين بين الضياء والظلام هي صورة جيدة للصعاب التي تعتري الإنسان، وفي نفس الوقت هو في ذاته يسعى للحصول على متع هذه الدنيا والنيل منها، ثم يعترف بعد هذه الضدية أنه اختار اللهو رغم صعوبة الأيام، ولم يعد يهتم بالوعود فإن في الوعود يأس من تحققها، لذا هو قرر أن تكون هذه القواعد هي فلسفته بين التشاؤم والأمل.

الخاتمة :

وفي ختام البحث ،اتضح لنا ان الدوافع الشعرية للذات تمثل ركن اساسي في تشكيل النصوص الشعرية ،وتوجيه الخطاب الشعري ،واستعرضنا هذه المؤثرات التي اثرت ابداع الشاعر بدءاً من التجارب الشخصية ثم الهوية الثقافية والاجتماعية وصولاً الى الطبيعة والتأمل فيها ، وتتداخل هذه العوامل لتعكس الرؤى الثقافية المتنوعة للمبدعين ،ويثري المشهد الادبي وختاماً تظل دوافع الذات الداخلية محفزاً للابداع ودافع للشعراء لاستكشاف اعماق الذات .

المصادر:

- الإسلام والحب، بحوث إسلامية، عبد الله ناصح علوان ٢٤، دار السلام للنشر والتوزيع، ١٩٨٢م.
- الاغتراب النفسي والاجتماعي وعلاقتها بالتوافق النفسي والاجتماعي، صلاح الدين أحمد، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م.

- الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ط٥، ١٩٨٦م.
- الشعر والشعراء لابن فتيبة، تح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف.
- أنوار الربيع في أنواع البديع، صدر الدين المدني، علي بن أحمد بن محمد معصوم الحسني الحسيني، المعروف بعلي خان بن ميرزا أحمد، الشهير بابن معصوم (ت ١١١٩هـ)، مطبعة النعمان، النجف.
- دراسات في الشعر العربي المعاصر، د.شوقي ضيف.
- دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية، مصر، ط١.
- دلالة المكان في ثلاثية نجيب محفوظ، سعاد دحماني، ماجستير – جامعة الجزائر، ٢٠٠٨م.
- سايكولوجية الشعر ومقالات أخرى، نازك الملائكة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة كتابات نقدية.
- صورة المرأة في شعر يحيى توفيق، علي بن أحمد بن محمد، جامعة مؤتة، عمادة الدراسات العليا ٢٠٠٨م.
- عبد الله منصور شاعر الحب والحرب، محمد ضمرة، دار يافا العلمية للنشر، ط١، ٢٠١١م.
- علم النفس العام د أنطوان حمصي، منشورات جامعة دمشق، ١٩٩١م –١٩٩٢م ط ٣.
- لسان العرب، ابن منظور(ت:٧١١هـ)، دار صادر، بيروت.
- مقدمة القصيدة عن ابن نباتة المصري، قراءة نقدية، د فارس ياسين الحمداني، مجلة جامعة واسط، كلية التربية، ع ٤٣، ٢٠٢١م.
- نظرية الأدب دراسة في المدارس النقدية الحديثة، د شفيع السيد، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ط٢٠١٤،٣م.
- فن الشعر، إحسان عباس، فن الشعر.
- الصورة الأدبية، مصطفى ناصف.
- الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، بشرى موسى صالح.